المعادية تحت حماية مظلة من طائرات « الميغ ـ ٢١ » . وتستخدم المدفعية السورية اسلوبي « رمي التدمير » ، و« رمي الازعاج » بحيث تفاجيء العدو في اوقات لا يتوقعها ، وتدمر قواته او تجبرها على الالتجاء الى الملاجيء ، وتحرمها من فرص الراحة .

ومن المظاهر الجديدة في حرب الاستنزاف الدائرة ، ١ ـ تزايد عدد الدوريات المكلفة بالاستطلاع او خطف الاسرى ، وتزايد العمق الذي تتوغل فيه وراء خطوط وقف القتال ، ٢ ـ تمركز الجيش اللبناني في قطاع العرقوب بحيث يكشف تسلل الاسرائيليين البري عبر الاراضي اللبنانية لتهديد جناح القوات السورية العاملة في الجولان، وقيام القوات اللبنانية المنتشرة بنصف دوريات العدو التي تجتاز الحدود في هذه المنطقة ، ٣ ـ تسليح وحدات من المشاة (مغاوير سوريين او فدائيين فلسطينيين) بصواريخ ارض ـ جو فردية من طراز « ستريلا » ، ودفعها الى السفح الغربي لجبل الشيخ بغية التصدي للطائرات الاسرائيلية التي تتسلل عبر الاجواء اللبنانية لقصف قوات السوريين في الجولان وجبل الشيخ .

في ظل هذا المناخ المتوتر والعمل العسكري المستمر بدأت جولة كيسنجر الخامسة في الشرق الاوسط . ولم يكن وزير الخارجية الاميركية يحس بتفاؤل كبير ، وكانت طموحاته منذ البداية محدودة بالتوصل الى تفاهم حول بعض النقاط ، وتقريب وجهات النظر المتباعدة استعدادا لجولة اخرى مقبلة . والتوصل قبل مغادرة الشرق الاوسط الى اتفاق حول وقف اطلاق النار على الاقل ، مع ترك الانطباع لدى العرب والسوفييت بأن الامور تتقدم نحو الانفراج بخطوات بطيئة ولكنها مؤكدة، لان اعلان فشله الكامل يعني بالنسبة اليه : ١ ـ اهتزاز موقفه وموقف الرئيس نيكسون داخل الولايات المتحدة ، ٢ ـ ضعف موقف الزعماء العرب الذين وثقوا به ، ووضعوا حل الامور بين يديه ، ٣ ـ تدعيم وجهة نظر الزعماء العرب المتشددين الذين يدعمهم الاتحاد السوفييتي ، ٤ ـ عودة النفوذ السوفييتي الى المنطقة بشكل اقوى، ٥ ـ اعادة طرح مسألة حظر النفط في حزيران بشكل يهدد باثارة أزمة الطاقة من جديد ، ٦ ـ احتمال اندلاع الحرب من جديد على نطاق واسع.

ولقد كان مع كيسنجر عند قدومه مجموعة من الاوراق الرابحة . فهو يعتمد على ثقة الحكومة المصرية ورغبتها في مساعدته على فصل القوات في الجولان ، ويستطيع استخدام المساعدات الاميركية الضخمة للضغط على اسرائيل ، كما يستطيع طمأنة اسرائيل حول نوايا مصر بواسطة شرح خلفيات المساعدة الاميركية المقدمة لمصر (٢٥٠ مليون دولار) في سبيل اعادة تعمير مدن القناة وتطويرها . وتفسير مغزى سعي القاهرة لتنويع مصادر السلاح، والحصول على السلاح الاميركي .

ومقابل هذه الاوراق الرابحة فقد كان امامه الكثير من الحواجز والصعوبات . فهو مضطر لان يتفاوض في اسرائيل مع حكومة مائير المستقيلة المثقلة بالتصريحات المتشددة السابقة حول عدم الانسحاب من الجولان ، والتي لا تريد ان تنهي حياتها السياسية بتقديم التنازلات . بدلا من التفاوض مع اسحاق رابين المكلف بتشكيل الحكومة الجديدة منذ يوم ٢٦ نيسان ، والذي اصطدم بأكثر من معضلة داخلية منعته من التوصل الى تشكيل حكومة قوية قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية . وبالاضافة الى ذلك فان على وزير الخارجية الاميركي ان يصطدم بتصلب سورية المبدئي المدعوم بموقف السوفييت المصممين على مراقبة المفاوضات عن كثب ، والمشاركة الفعلية في ايجاد حل يضمن انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي العربية المحتلة وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة .

ولقد سبق قدوم كيسنجر الى المنطقة انباء متعددة عن وجود مشروع اميركي لفصل القوات ، يتضمن انسحاب الاسرائيليين من بعض مناطق الجولان بما في ذلك القنيطرة . بيد أن وزير الخارجية الاميركي نفى هذه الانباء فور وصوله ، واعلن انه لم يأت لفرض الحلول او طرح المشروعات ، ولكنه جاء لسماع المقترحات المتبادلة، بغية ايجاد وسيلة يمكن بواسطتها تقريب وجهات النظر المتباينة . وانطلاقا من هذه النقطة بدأ كيسنجر « رحلاته المكوكية » بين مصر وسورية واسرائيل والمملكة العربية السعودية والاردن ، وكان يحاول في كل لقاء مع المسؤولين العرب او الاسرائيليين سماع وجهات النظر ، وطرح وجهة